النَّصِيحَةُ الوَلَدِيَّة

وَصِيَّة أبي الوَلِيد البَاجِي لِوَلَدَيْه

تأليف

أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي

المتوفى سنة ٤٧٤ هـ

تحقيق

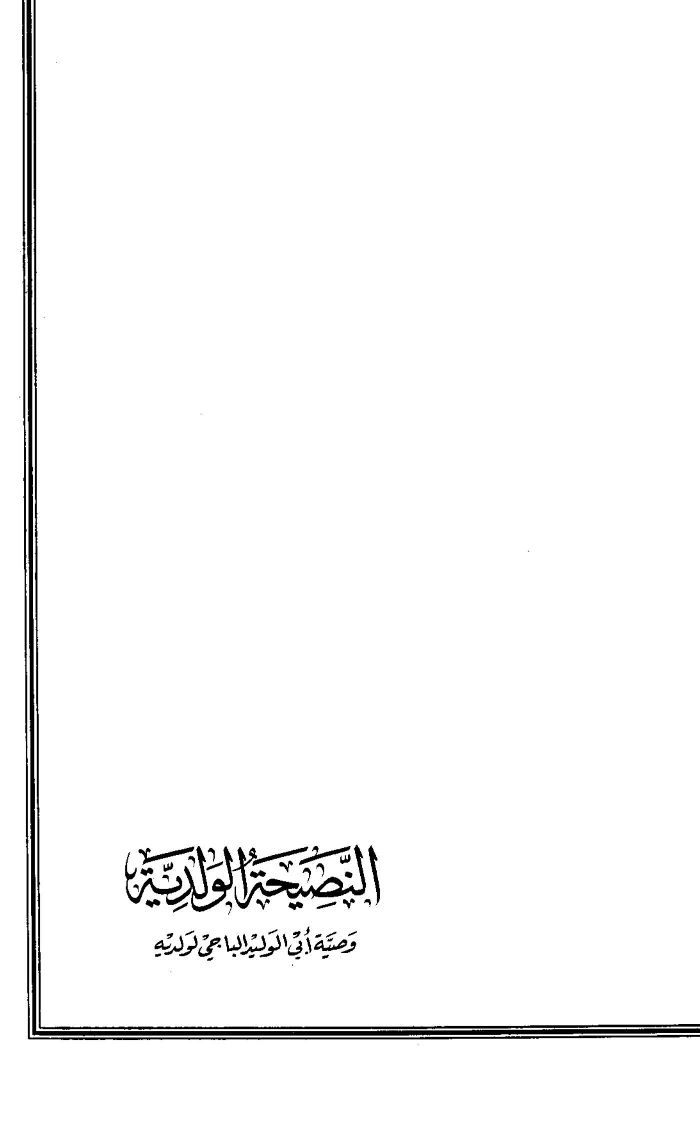
إبراهيم باجس عبد المجيد

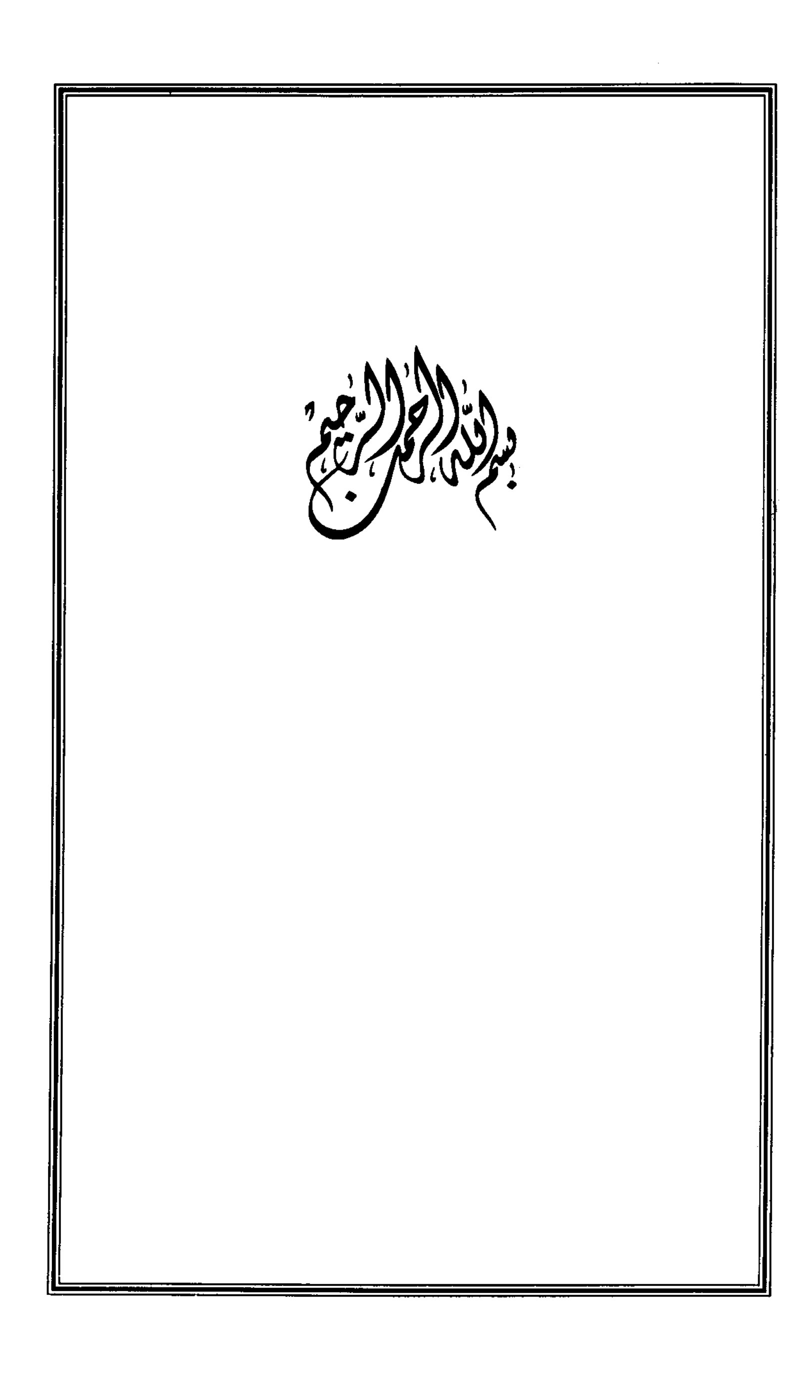
دار ابن حزم

الطبعة الثالثة
(الطبعة الأولى لدار ابن حزم)
١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

الكتب والدراسات التي تصدرها الدار
تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها

دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان - ص.ب: ١٤/٦٣٦٦ - تلفون: ٧٠١٩٧٤


النصيحة الولدية
وصية أبي الوليد الباجي لولديه


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [سورة يوسف: الآية ١٠١].

المقدّمة

نحمدك ربنا على ما أنعمت علينا من ذرية صالحة، ونحمدك على ما أعنتنا عليه من تربيتهم وتنشئتهم كما أمرتنا ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾، فالحمد لله في الأولى، والحمد لله في الأخرى، والحمد لله في كل حين.

ونصلّي ونسلّم على رسولنا محمد ﷺ، خيرِ مُرَبٍّ، وأفضل أب، حثّنا على حفظ ما استرعانا الله عليه من ذرية، فقال: «**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالأمير راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله، ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها، ومسؤولة عن رعيتها**»[1].

ثم أما بعد، فلا شيء أجمل في عين المرء من ولد

---

(١) رواه البخاري (٨٩٣)، ومسلم (١٨٢٩) عن ابن عمر.

صالح يراه ينمو ويترعرع شيئاً فشيئاً، وهو يعمل على رعايته ونموه كالنبتة الصغيرة حتى يشتدَّ عودها، وتقوم على ساقها، وتقرّ عينه حين يراها شجرة كبيرة مثمرة.

والإنسان يكرّس حياته من أجل أبنائه وذريته، يعمل من أجلهم، يؤمّن لهم الغذاء والكساء، يفرح لفرحهم، ويحزن لحزنهم، تسرُّه رؤيتهم في الطريق القويم سائرين، ويحزنه تنكُّبهم هذا الطريق، ولهذا فهو دائمُ النصح لهم للبعد عن الانحراف عن الطريق الذي رسمه لهم.

والأب المسلم لديه رصيد كبير لتربية أبنائه التربية الصالحة؛ هذا كتاب الله الكريم، وسنة رسوله ﷺ وسيرته العطرة، وهذه سيرة السلف الصالح من رجالات هذه الأمة، بالإضافة إلى الفطرة السوية التي فطر الله عليها الخلق، فكل هذا رصيد كبير يدَّخره المرء المسلم ويستثمره لتربية أبنائه التربية الصالحة، وتنشئتهم النشأة القويمة.

وعندنا من التاريخ الإسلامي نماذجُ كثيرة من تربية الآباء للأبناء، وخيرها ما قصه لنا القرآن الكريم من تربية الرجل الصالح لقمان لابنه ونصحه له، فما ترك خيراً إلا أوصى ابنه بفعله، وما علم شرّاً إلا حذره منه، فكانت وصية شاملة لما يهم الإنسان في حياته الدنيا والآخرة.

- فأول ما يجب أن يهتم به المسلم في تربية ابنه: العقيدة السليمة، عقيدة التوحيد ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾.

- ثم تأتي العبادة، وأهمها الصلاة: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾.

- فإذا صحت عقيدة المسلم، وعبد الله حق عبادته، فلا بد من القيام بأعباء الدعوة إلى الله، وتحمل الأذى في سبيلها: ﴿وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ﴾.

- والداعية الحق لا بد أن تكون علاقته بالمدعوين علاقة ودٍّ ورحمة، وأولى الناس به والداه، حتى ولو كانا كافِرَيْن: ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنٗاۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَآۚ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝٨﴾.

- والداعية الحق يجب أن يتصف بالصفات الحميدة، والأخلاق العالية، فلا يتكبر على المدعوين، ولا يحقر غيره من الناس: ﴿وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ۝١٨﴾.

فهذه وصية شاملة، شملت العقيدة، والعبادة، والدعوة، والعلاقات البشرية، والآداب والأخلاق.

ونحن إذا نظرنا في وصية أبي الوليد الباجي لولديه، لا نجدها ابتعدت عن هذا النهج القرآني السديد، فأول ما أوصى به ابنيه الإيمان بالله، ثم أمرهما بعبادة ربهم، . . . وهكذا.

ولا نطيل القول في الوصية، فلنقرأها ونحفظها ونعمل بما فيها، ولنا عود في نهايتها للحديث عن المؤلف أبي الوليد الباجي وحياته. . . والحمد لله رب العالمين.

النصيحة الولدية

وصية أبي الوليد الباجي لولديه

تأليف

أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي

المتوفى سنة ٤٧٤ هـ

تحقيق

إبراهيم باجس عبد المجيد

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا محمد وآله

قال الشيخ الفقيه الإمام الحافظ أبو الوليد الباجي - رضي الله عنه ورحمه -:

المقدمة

يا بَنِيَّ هداكما الله وأرشدكما ووفقكما وعصمكما، وتفضَّل عليكما بخير الدنيا والآخرة، ووقاكما محذورهما برحمته. إنكما لمَّا بلغتما الحدَّ الذي قَرُبَ فيه تعيُّنُ الفروض عليكما، وتوجَّهَ التكليفُ إليكما، وتحقَّقتُ أنكما قد بلغتما حدَّ مَنْ يفهم الوعظ، ويتبينُ الرُّشد، ويصلحُ للتَّعلم والعلم، لزمني أن أقدِّمَ إليكما وصيتي، وأظهر إليكما نصيحتي، مخافة أن تخترِمَني منيَّةٌ ولم أبلغ مباشرة تعليمكما وتدريبكما وإرشادكما وتفهيمكما، فإن

أنسَأ[١] الله تعالى في الأجل، فسيكثُر النُّصحُ والتَّعليم والإرشاد والتفهيم، وما توفيقي إلا باللَّه، عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون، بيده قلوبُكما ونواصيكما. وإن حال بيني وبين ذلك ما أتوقَّعُه وأظنُّه من اقترابِ الأجل، وانقطاع الأمل، ففيما أرسُمه من وصيتي وأبيِّنُه من نصيحتي ما إن عملتُما به، ثبتُّما على منهاج السَّلف الصالح، وفزتما بالمتجرِ الرَّابح، ونِلتما خيرَ الدُّنيا والآخرة، وأستودع الله دينكما ودنياكما، وأستحفظه معاشكما ومعادَكما، وأفوِّض إليه جميع أحوالِكما، وهو حسبي فيكما ونعم الوكيل.

لا أحد أنصح للولد من والده

واعلما أن لا أحد أنصح مني لكما، ولا أشفق منِّي عليكما، وأنه ليس في الأرض مَن تطيبُ نفسي أن يفضُلَ عليَّ غيركما، ولا أرفعُ حالًا في أمرِ الدين والدنيا سواكما.

وجوب طاعة نصح الأب

وأقلُّ ما يوجبُ ذلك عليكما أن تُصيخا إلى قولي،

---

(١) أنسأ: مدَّ.

وتتَّعظا بوعظي، وتتفهَّما إرشادي ونُصحي، وتتيقَّنا أنِّي لم أنهكما عن خير، ولا أمرتكما بشرٍّ، وتسلُكا السَّبيل التي نهجتُها، وتمتثلا الحال التي مثلتُها.

صلاح أهل بيت المؤلف

واعلما أننا أهل بيت لم يخلُ بفضل الله ما انتهى إلينا منه من صلاحٍ وتديُّنٍ وعفافٍ وتصاونٍ، فكان بنو أيوب بن وارث عفاً الله عنا وعنهم أجمعين: جدُّنا سعد، ثم كان بنو سعدٍ: سليمان وخلفٌ وعبد الرحمن وأحمد.

وكان أوفر الصلاح والتدين والتورُّع والتعبُّد في جدِّكم خلف؛ كان مع جاهه وحاله واتساع دنياه منقبضاً عنها، متقلِّلًا منها، ثم أقبل على العبادة والاعتكاف إلى أن توفي رحمه الله.

إخوة المؤلف

ثم كان بنو خلف عمَّاكُما عليٌّ وعمرُ وأبوكما سليمان، وعمَّاكما محمد وإبراهيم، فلم يكُن في أعمامكما إلا مشهورٌ بالحج والجهاد والصلاح والعفاف، حتى توفي منهم على ذلك عفا الله عنَّا وعنهم.

وكأنني لاحقٌ بهم ووارِدٌ عليهم، ويصير الأمر إليكما، فلا تأخذا غير سبيلهم، ولا ترضيا غير أحوالهم،

فإن استطعتما الزِّيادة، فلأنفسكما تمهدان، ولها تبنيان، وإلا فلا تُقصِّرا عن حالهم.

أول الوصايا: الإيمان بالله

وأول ما أوصيكما به ما أوصى به إبراهيمُ بنيه ويعقوب: ﴿يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢]. وأنهاكما عمَّا نهى عنه لقمان ابنه[1] وهو يعظه ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]. وأؤكد عليكما في ذلك وصيتي، وأكررها حرصاً على تعلُّقكما وتمسُّككما بهذا الدين الذي تفضَّل الله تعالى علينا به، فلا يستزلَّكما عنه شيء من أمور الدنيا، وابذلا دونه أرواحكما، فكيف بدنياكما، فإنه لا ينفع خير بعده الخلود في النار، ولا يضرُّ ضيرٌ بعده الخلود في الجنة ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥].

رجاء الجنة لمن آمن بهذا الدين

فإن مِتُّمَا على هذا الدين الذي اصطفاه الله واختاره وحرَّم ما سواه، فأرجو أن نلتقي حيث لا نخاف فُرقَةً،

---

(١) في الأصل: «لابنه».

ولا نتوقع إزالةً، ويعلمُ الله تعالى شوقي إلى ذلك وحرصي عليه، كما يعلم إشفاقي من أن تزلّ بأحدِكما قدمٌ، أو تعدلَ به فتنة، فيحِلُّ عليه من سخط الله تعالى ما يُحلُّه دارَ البوار، ويوجب له الخلود في النار، فلا يلتقي مع المؤمنين مِن سلفه، ولا ينفعه الصالحون من آبائه يوم لا يغني ﴿وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ﴾.

أقسام الوصية

وتنقسم وصيتي لكما قسمين:

فقسم فيما يلزم من أمر الشريعة، أُبين لكما منه ما يجب معرفته، ويكون فيه تنبيهٌ على ما بعده.

وقسم فيما يجب أن تكونا عليه في أمر دنياكما، وتجريان عليه بينكما.

❦ ❦ ❦

القسم الأول

التصديق بأركان الإيمان

فأما القسم الأول: فالإيمان بالله عز وجل وملائكته وكتبه ورسله، والتصديق بشرائعه، فإنه لا ينفع مع الإخلال بشيءٍ من ذلك عمل.

حفظ القرآن والعمل به

والتمسك بكتاب الله تعالى جدُّه، والمثابرة على تحفظه وتلاوته، والمواظبة على التفكُّر في معانيه وآياته، والامتثال لأوامره، والانتهاء عن نواهيه وزواجره.

التمسك بالكتاب والسنة

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «**تركتُ فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلُّوا بعدي: كتاب الله تعالى وسُنَّتي**».

عضُّوا عليها بالنواجذ»[1].

طاعة الرسول ومحبته

وقد نصح لنا النبي ﷺ، وكان بالمؤمنين رحيماً، وعليهم مشفقاً، ولهم ناصحاً. فاعملا بوصيَّته، واقبلا مِن نُصحه، وأثبتا في أنفسكما المحبة له، والرضا بما جاء به، والاقتداء بسنته، والانقياد له، والطاعة لحكمه، والحرصَ على معرفة سنَّته، وسلوك سبيله، فإن محبَّته تقود إلى الخير، وتنجي من الهَلَكَةِ والشر.

محبة الصحابة

وأشْرِبَا قلوبكما محبَّةَ أصحابه أجمعين، وتفضيل الأئمة منهم الطاهرين: أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، ونفعنا بمحبتهم، وألزِما أنفسكما حُسْنَ التأويل لما شجر بينهم، واعتقادَ الجميلِ فيما نُقل عنهم. فقد رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا تسبُّوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أُحد ذهباً، ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نَصيفَه**»[2]. فمن لا يبلغ نصيفُ مُدِّه مثلَ

---

(١) رواه مالك في الموطأ ٢/ ٨٩٩، والحاكم في المستدرك ١/٩٣.

(٢) رواه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤٠) و (٢٥٤١).

أُحد ذهباً، فكيف يوازن فضله، أو يدرك شأوَه؟! وليس منهم رضي الله عنهم إلا مَن أنفق الكثير.

توقير العلماء والاقتداء بهم

ثم تفضيل التابعين ومن بعدهم من الأئمة والعلماء ـ رحمهم الله ـ والتعظيم لحقهم، والاقتداء بهم، والأخذ بهديهم، والاقتفاء لآثارهم، والتحفُّظ لأقوالهم، واعتقاد إصابتهم.

إقام الصلاة

وإقام الصلاة، فإنها عمود الدين، وعمادُ الشَّريعة، وآكد فرائض الملة في مراعاة طهارتها، ومراقبة أوقاتها، وإتمام قراءتها، وإكمال ركوعها وسجودها، واستدامة الخشوع فيها، والإقبال عليها، وغير ذلك مِن أحكامها وآدابها في الجماعات والمساجد، فإن ذلك شعارُ المؤمنين، وسنن الصالحين، وسبيل المتقين.

أداء الزكاة

ثم أداء زكاة المال، لا تُؤخَّر عن وقتها، ولا يُبخَل بكثيرها، ولا يُغفل عن يسيرها، ولتُخْرج من أطيب جنس، وبأوفى وزنٍ، فإن الله تعالى أكرمُ الكرماء، وأحقُّ مَنِ اختيرَ له، ولتُعط بطيب نفس، وتيقُّن أنها بركة في

المال وتطهير له، وتدفع إلى مستحقِّها دون محاباة ولا متابعة هوى ولا هوادة.

صوم رمضان

ثم صيام رمضان، فإنه عبادة السرِّ وطاعة الربِّ، ويجب أن يُزاد فيه من حفظ اللسان، والاجتهاد في صالح العمل، والتحفظ من الخطأ والزلل، ويُراعى في ذلك لياليه وأيامه، ويتبع صيامه قيامه، وقد سُنَّ فيه الاعتكاف.

حج البيت والعمرة

ثم الحج إلى بيت الله الحرام مَن استطاع إليه سبيلًا، فهو فرضٌ واجبٌ، وقد رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: **«الحجُّ المبرورُ ليس له جزاءٌ عند الله إلا الجنة»**[1].

الجهاد في سبيل الله

ثم الجهاد في سبيل الله إن كانت بكما قدرة عليه أو عون مَن يستطيع إن ضعفتما عنه.

فهذه عُمَدُ فرائض الإِسلام، وأركان الإيمان، حافظا عليها وسابقا إليها، تحوزا الخيرِ العظيم، وتفوزا بالأجر

(١) رواه البخاري (١٣٧٣)، ومسلم (١٣٤٩).

الجسيم، ولا تُضيعا حقوق الله فيها وأوامره بها، فتهلكا مع الخاسرين، وتندما مع المفرطين.

طلب العلم

واعلما أنكما إنما تصلان إلى أداء هذه الفرائض والإتيان بما يلزمكما منها مع توفيق الله لكما بالعلم الذي هو أصل الخير، وبه يتوصَّل إلى البر، فعليكما بطلبه؛ فإنه غِنى لطالبه، وعزٌّ لحامله، وهو ـ مع هذا ـ السببُ الأعظمُ إلى الآخرة. به تُجتَنبُ الشُّبهات، وتصِحُّ القُربات، فكم من عامل يُبعده عمله مِن ربِّه، ويكتب ما يتقرب به من أكبر ذنبه. قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف: ١٠٣، ١٠٤]. وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ٩]. وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨]. وقال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

فضائل العلم

والعلم سبيل لا يُفضي بصاحبه إلا إلى السعادة، ولا يُقصر به عن درجة الرفعة والكرامة. قليلُه ينفع،

وكثيره يُعلي ويرفع، كنزٌ يزكو على كل حال، ويكثر مع الإنفاق، ولا يغصبه غاصب، ولا يُخاف عليه سارق ولا محارب.

فاجتهدا في طلبه، واستعذِبا التَّعبَ في حفظه، والسَّهر في درسه، والنَّصبَ الطويلَ في جمعه، وواظبا على تقييده وروايته، ثم انتقلا إلى فهمه ودرايته.

رفعة أهل العلم

وانظرا أيّ حالة من أحوال طبقات الناس تختاران، ومنزلة أي صنف منهم تُؤثران. هل تريان أحداً أرفع حالًا من العلماء، وأفضل منزلة من الفقهاء؟ يحتاج إليهم الرئيس والمرؤوس، ويقتدي بهم الوضيعُ والنفيسُ، يُرجع إلى أقوالهم في أمور الدنيا وأحكامها، وصحة عقودها وبياعاتها، وغير ذلك من تصرُّفاتها، وإليهم يُلجأ في أمور الدين وما يلزم مِن صلاة وزكاة وصيام وحلال وحرام. ثم مع ذلك السلامةُ منَ التَّبعات، والحظوة عند جميع الطبقات.

والعلم ولاية لا يُعزل عنها صاحبها، ولا يعرى من جمالها لابسُها. وكلُّ ذي ولاية وإن جلَّت، وحُرمَةٍ وإن عظمت، إذا خرج عن ولايته، أو زال عن بلدته، أصبح من جاهه عارياً، ومن حاله عاطلًا، غير صاحب العلم،

فإنَّ جاهَهُ يصحبُه حيث سار، ويتقدَّمه إلى جميع الآفاق والأقطار، ويبقى بعده في سائر الأعصار.

أفضل العلوم علم الشريعة

وأفضل العلوم علم الشريعة، وأفضل ذلك لمن وُفِّق أن يُجَوِّد قراءة القرآن، ويحفظ حديث النبي ﷺ، ويعرفَ صحيحه من سقيمه، ثم يقرأ أصول الفقه، فيتفقَّه في الكتاب والسنَّة، ثم يقرأ كلام الفقهاء، وما نُقل من المسائل عن العلماء، ويدرَبُ في طرق النظر وتصحيح الأدلة والحجج، فهذه الغاية القصوى، والدرجة العليا.

التفقه في الدين

ومن قصَّر عن ذلك، فليقرأ بعد تحفظ القرآن ورواية الحديث المسائل على مذهب مالك رحمه الله، فهي إذا انفردت أنفع من سائر ما يُقرأ مفرداً في باب التفقُّه، وإنما خصصنا مذهب مالك رحمه الله، لأنه إمام في الحديث، وإمام في الرأي، وليس لأحدٍ من العلماء ممَّن انبسط مذهبه وكثرت في المسائل أجوبته درجة الإمامة في المعنَيَين، وإنما يشاركه في كثرة المسائل وفروعها والكلام على معانيها وأصولها أبو حنيفة

والشافعي، وليس لأحدهما إمامة في الحديث، ولا درجة متوسطة[1].

النهي عن قراءة كتب المنطق والفلسفة

وإيَّاكما وقراءة شيء من المنطق وكلام الفلاسفة؛ فإن ذلك مبنيٌّ على الكفر والإلحاد، والبعد عن الشريعة والإبعاد.

قراءة كتب المنطق تكون بعد التمكن في الدين

وأحذِّركما من قراءتها ما لم تقرآ من كلام العلماء ما تقويَان به على فهم فساده وضعف شُبهه وقلَّةِ تحقيقه، مخافة أن يسبق إلى قلب أحدكما ما لا يكون عنده من العلم ما يَقوى به على ردّه، ولذلك أنكر جماعة العلماء المتقدمين والمتأخرين قراءة كلامهم لمن لم يكن من أهل

---

(١) يقول ذلك رحمه الله نصراً لمذهبه المالكي، ونحن ـ ومع إجلالنا لإمام دار الهجرة مالك بن أنس رحمه الله، وإقرارنا بتبحُّره في الفقه والحديث ـ لا ننكر ما لغيره من الأئمة الأعلام من العلماء من مكانة في الفقه والحديث، فهذا سفيان الثوري، والأوزاعي، وأحمد بن حنبل، والشافعي، وأبو حنيفة، وغيرهم كثير، كلُّهم أئمة مجتهدون، نأخذ بما جاؤوا به، إلا أن تكون النصوص الشرعية بخلافه، وانظر رسالة «جزيل المواهب في اختلاف المذاهب» للسيوطي، بتحقيقي.

المنزلة والمعرفة به؛ خوفاً عليهم مما خوَّفتكما منه.

ولو كنت أعلم أنكما تبلغان منزلة المَيْزِ والمعرفة، والقوَّة على النظر والمقدرة، لحضَضتكما على قراءته، وأمرتكما بمطالعته، لتحققا ضعفه وضعفَ المعتقد له، وركاكة المغتر به، وأنه من أقبح المخاريق والتمويهات، ووجوه الحِيَل والخزعبلات التي يُغتر بها من لا يعرفها، ويستعظمها من لا يميزها.

ولذلك إذا حقق من يعلم عند أحدٍ منهم وجده عارياً من العلم، بعيداً عنه، يدَّعي أنه يكتم علمه، وإنما يكتم جهله، وهو ينمُّ عليه، ويرومُ أن يستعين به، وهو يُعين عليه.

وقد رأيت ببغداد وغيرها من يدَّعي منهم هذا الشأن مستحقراً مستهجناً مستضعفاً، لا يناظره إلا المبتدىء وكفاك بعلمٍ صاحبه في الدنيا مرموق مهجورٌ، وفي الآخرة مدحورٌ مثبور. وأما من يتعاطى ذلك من أهل بلدنا، فليس عنده منه إلا اسمه، ولا وصل إليه إلا ذكره.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

وعليكما بالأمر بالمعروف وكونا مِن أهله، وانهيا عن المنكر واجتنبا فعله.

طاعة ولي الأمر في غير معصية لله

وأطيعا من ولَّاه الله أمركما، ما لم تُدعيا إلى معصية، فيجب أن تمتنعا منها، وتبذُلا الطاعة فيما سواها.

التزام الصدق واجتناب الكذب

وعليكما بالصدق، فإنه زَيْن، وإياكما والكذب فإنه شَين، ومن شُهر بالصدق، فهو ناطق محمود، ومن عُرف بالكذب، فهو ساكت مهجور مذموم، وأقلُّ عقوبات الكذاب ألا يُقبل صدقُه، ولا يتحقق حقُّه، وما وصف الله تعالى أحداً بالكذب إلا ذاماً له، ولا وصف الله تعالى أحداً بالصدق إلا مادحاً له ومرفعاً به.

أداء الأمانة

وعليكما بأداء الأمانة، وإياكما والإلمام بالخيانة. أدِّيا الأمانة إلى من ائتمنكما، ولا تخونا من خانكما، وأوفيا بالعهد إن العهد كان مسؤولًا.

تتميم الكيل والميزان

أوفيا الكيل والوزن، فإن النَّقص فيه مقت، لا يُنقِّص المال، بل يُنقص الدِّين والحال.

النهي عن المشاركة في سفك الدماء المحرمة

وإياكما والعون على سفك دم بكلمة، أو المشاركة فيه بلفظة، فلا يزال الإنسان في فُسحة من دينه ما لم يغمس يده أو لسانه في دم امرئ مسلم. قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ [البقرة: ٩٣].

لا تقربوا الزنى

واجتناب الزنى من أخلاق الفضلاء، ومواقعته عارٌ في الدنيا وعذاب في الأخرى. قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الإسراء: ٣٢].

اجتناب الخمر

وإياكما وشربَ الخمر؛ فإنها أمُّ الكبائر، والمجرِّئة على المآثم، وقد حرمها الله تعالى في كتابه العزيز، فقال عز من قائل: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المائدة: ٩١]. وحسبُكما بشيء يُذهب العقل، ويفسد اللبَّ، وقد تركها قومٌ في الجاهلية تكرُّماً، فإياكما ومقاربتها، والتَّدنُّس برجسها، وقد وصفها الله

تعالى بذلك، وقرنها بالأنصاب والأزلام، فقال عز من قائل: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠]. فبيَّن تعالى أنها من عمل الشيطان، ووصفها بالرِّجس، وقرن الفلاح باجتنابها، فهل يستجيزُ عاقل يُصدق البارىء في خبره تبارك اسمه، ويعلم أنه أراد الخير لنا منها حذَّرنا عنه مما أن يقربها أو يتدنَّس بها.

التحذير من الربا

وإياكما والربا، فإن الله تعالى قد نهى عنه، وتوعَّد بمحاربة من لم يتب منه، فقال عز من قائل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٧٨، ٢٧٩]. وقال تعالى: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٧٦].

عدم أكل مال اليتيم

ولا تأكلا مال أحدٍ بغير حقٍّ، وإياكما ومال اليتيم، فقد قال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾ [النساء: ١٠].

الحث على طلب الحلال

وعليكما بطلب الحلال واجتناب الحرام، فإن عدمتما الحلال، فالجآ إلى المتشابه.

تحريم الظلم

وإياكما والظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، والظالم مذموم الخلائق، مُبَغَّض إلى الخلائق[1].

التحذير من النميمة

وإياكما والنميمة، فإن أول من يمقت عليها مَن تُنقلُ إليه، وقد رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا يدخل الجنة قتَّات**»[2].

النهي عن الحسد

وإياكما والحسد، فإنه داء يُهلك صاحبه، ويُعطب تابِعَه.

اجتناب الفواحش

وإياكما والفواحش، فإن الله تعالى حرَّم ما ظهر

---

(١) أي: مذموم الأخلاق، مبغض إلى المخلوقين.

(٢) رواه البخاري (٦٠٥٦)، ومسلم (١٠٥).

منها وما بطنَ والإثم والبغي بغير الحقِّ.

تحريم الغيبة

وإياكما والغيبة، فإنها تُحبط الحسنات، وتكثر السيئات، وتُبعد من الخالق، وتُبَغِّضُ إلى المخلوق.

تحريم الكِبْر

وإياكما والكبر، فإن صاحبه في مقت الله متقلِّبٌ، وإلى سخطه منقلبٌ.

النهي عن البخل

وإياكما والبخل، فإنه لا داءَ أدوأ منه، لا تسلم عليه دِيانة، ولا تتمُّ معه سيادة.

مراقبة الله في السر والعلن

وإياكما ومواقف الخزي، وكل ما كرهتما أن يظهر عليكما فاجتنباه، وما علمتما أن الناس يعيبونه في الملأ، فلا تأتياه في الخلاء.

العدل في الحكم

فإن بلغ أحدكما أن يسترعيه الله أُمَّة بحكم أو فتوى، فليمتثل العدل جهده، ويجتنب الجُور وغدره،

فإن الجائر مضادٌّ لله في حُكمه، كاذبٌ عليه في خبره، مغيِّرٌ بشريعته، مخالف له في خليقته. قال الله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧].

وقد روي أن الخلقَ كلهم عيال الله، وأن أحبَّ الخلق إلى الله أحوطهم لعياله[١]. وروي: **«ما امرؤٌ استُرعي رعية فلم يُحطها بنصيحة، إلا حرَّم الله تعالى عليه الجنة»**[٢].

إياكم وشهادة الزور

وإياكما وشهادة الزور، فإنها تقطع ظهر صاحبها، وتفسد دين متقلدها، وتخلِّد قبح ذكره، وأوَّل من يمقته وينمُّ عليه المشهودُ له.

تحريم الرشوة

وإياكما والرشوة، فإنها تُعمي عين البصير، وتحطُّ قدر الرَّفيع.

---

(١) حديث ضعيف. رواه ابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج (٢٤)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» ٤/ ٢٣٧، والخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» ٦/ ٣٣٤.

(٢) رواه البخاري (٧١٥٠)، ومسلم (١٤٢)، باختلاف في اللفظ.

الغناء ينبت الفتنة في القلب

وإياكما والأغاني، فإن الغناء يُنبت الفتنة في القلب ويولِّد خواطر السوء في النفس.

النرد والشطرنج ملهاة للوقت

وإياكما والشطرنج والنرد، فإنه شغلُ البطالين، ومحاولة المترفين، يُفسد العمر، ويُشغل عن الفرض، ويجب أن يكون عمركما أعزَّ عليكما وأفضل عندكما من أن تقطعاه بمثل هذه السخافات التي لا تُجدي، وتفسداه بهذه الحماقات التي تضرُّ وتردي.

النهي عن الكهانة والتنجيم

وإياكما والقضاء بالنجوم والتكهُّن؛ فإن ذلك لمن صدَّقه مُخرج عن الدين، ومُدخل له في جملة المارقين.

وأما تعديلُ الكواكب، وتبيين أشخاصها، ومعرفة أوقات طلوعها وغُروبها، وتعيين منازلها وبروجها، وأوقات نزول الشمس والقمر بها، وترتيبُ درجاتها؛ للاهتداء به، وتعرُّف الساعات وأوقات الصلوات بالظِّلال وبها، فإنه حسنٌ مدركٌ ذلك كله بطريق الحساب مفهوم. قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الأنعام: ٩٧]. وقال عز من قائل:

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٥﴾ [يونس: ٥].

القسم الثاني من الوصية

وأما القسم الثاني مما يجب أن تكونا عليه، وتتمسكا به:

إكرام الأخ لأخيه

فأن يلتزم كل واحد منكما لأخيه الإخلاص والإكرام والمراعاة في السر والعلانية، والمراقبة في المغيب والمشاهدة.

عطف الكبير على الصغير

وليلزم أكبركما لأخيه الإشفاق عليه والمسارعة إلى كل ما يحبه، والمعاضدة فيما يؤثره، والمسامحة لكل ما يرغبه.

توقير الصغير للكبير

ويلتزم أصغركما لأخيه تقديمه عليه، وتعظيمه في

كل أمر بالرجوع إلى مذهبه، والاتباع له في سره وجهره، وتصويب قوله وفعله.

المناصحة بالحسنى

وإن أنكر منه في الملأ أمراً يريده، أو ظهر إليه خطأ فيما يقصده، فلا يظهر إنكاره عليه، ولا يجهر في الملأ بتخطئته، وليبين له ذلك على انفراد منهما، ورفق من قولهما؛ فإن رجع إلى الحق، وإلا فليتبعه على رأيه، فإن الذي يدخل عليكما من الفساد باختلافكما أعظم مما يحذرُ من الخطأ مع اتفاقكما ما لم يكن الخطأ في أمر الدين، فإن كان في أمر الدين، فليتبع الحق حيث كان، وليثابر على نصح أخيه وتسديده ما استطاع، ولا يحل يده عن تعظيمه وتوقيره.

إيثار الأخوَّة على الدنيا

ولا يؤثر أحدكما على أخيه شيئاً من عرض الدنيا، فيبخل بأخيه من أجله، ويعرض عنه بسببه، أو ينافسه فيه، ومَنْ وُسِّع عليه منكما في دنياه، فليشارك بها أخاه، ولا ينفردُ بها دونه، وليحرص على تثمير مال أخيه كما يحرص على تثمير ماله.

التعاطف والتواصل

وأظهرا التعاضُدَ والتواصل والتعاطف والتناصر، حتى تُعرفا به، فإن ذلك مما تُرضيان به ربكما، وتغيظان به عدوَّكما.

لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تحاسدوا

وإياكما والتنافس والتقاطع والتدابر والتحاسد وطاعة النساء في ذلك؛ فإنه مما يُفسد دينكما ودنياكما، ويضع من قدركما، ويحطُّ من مكانكما، ويحقرُ أمركما عند عدوِّكما، ويصغر شأنكما عند صديقكما.

لا تبطلوا صدقاتكم بالمنِّ والأذى

ومن أسدى منكما إلى أخيه معروفاً أو مكارمة أو مواصلة، فلا ينتظر مقارضة عليها، ولا يذكر ما أتى منها؛ فإن ذلك مما يوجب الضغائن، ويسبب التباغض، ويقبح المعروف، ويحقر الكبير، ويدل على المقت والضَّعة ودناءة الهمة.

لا تقابل الإساءة بالإساءة

وإن أحدكما زلَّ وترك الأخذ بوصيتي في برِّ أخيه ومراعاته، فليتلاف الآخر ذلك بتمسُّكه بوصيتي، والصبر لأخيه، والرفق به، وترك المقارضة له على جفوته،

والمتابعة له على سوء معاملته، فإنه يحمد عاقبة صبره، ويفوز بالفضل في أمره، ولا يكون ما يأتيه أخوه كبير تأثير في حاله.

في الاتفاق بركة

واعلما أني قد رأيت جماعة لم تكن لهم أحوال ولا أقدار، أقام أحوالهم، ورفع أقدارهم اتفاقهم وتعاضدهم، وقد رأيت جماعة كانت أقدارهم سامية، وأحوالهم نامية، محق أحوالهم ووضع أقدارهم اختلافهم. فاحذرا أن تكونا منهم.

صلة الرحم

ثم عليكم بمواصلة بني أعمامكما وأهل بيتكما، والإكرام لهم، والمواصلة لكبيرهم وصغيرهم، والمشاركة لهم بالمال والحال، والمثابرة على مهاداتهم، والمتابعة لزيارتهم، والتعاهد لأمورهم، والبر لكبيرهم، والإشفاق على صغيرهم، والحرص على نماءِ مال غنيِّهم، والحفظ لعيبهم، والقيام بحوائجهم، دون اقتضاء لمجازاة، ولا انتظار مقارضة، فإنَّ ذلك مما تسودان به في عشيرتكما، وتعظمان به عند أهل بيتكما. وصِلا رحمكما وإن ضعُف سببها، وقرِّبا ما بعُد منها، واجتهدا في القيام بحقِّها، وإياكما والتضييع لها؛ فقد روي عن النبي ﷺ أنه قال:

«من أحبَّ النَّسأ في الأجل، والسعة في الرزق، فليَصِلْ رحمه»[1].

وهذا مما يشرف به ملتزمه، ويعظم عند الناس معظمه، وما علمت أهل بيت تقاطعوا وتدابروا، إلا هلكوا وانقرضوا، ولا علمت أهل بيت تواصلوا وتعاطفوا، إلا نموا وكثروا، وبُورِكَ لهم فيما حاولوا.

الوصية بالجار

ثم الجار؛ عليكما بحفظه، والكفُّ عن أذاه، والسَّتر لعورته، والإهداء إليه، والصبر على ما كان منه، فقد رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: **«لا يؤمن مَن لا يأمَنُ جارُه بوائقه»**[2]. وروي عنه ﷺ أنه قال: **«ما زال جبريل يوصيني بالجار حتَّى ظننتُ أنه سيوَرِّثه»**[3].

الجوار قرابة ونَسَبٌ

واعلما أنَّ الجوار قرابة ونسبٌ، فتحبَّبا إلى جيرانكما كما تتحبَّبان إلى أقاربكما. ارعيا حقوقهم في

---

(١) رواه البخاري (٢٠٦٧)، ومسلم (٢٥٥٧).
(٢) رواه البخاري (٦٠١٦)، ومسلم (٤٦).
(٣) رواه البخاري (٦٠١٤) و (٦٠١٥)، ومسلم (٢٦٢٤) و (٢٦٢٥).

مشهدهم ومغيبهم، وأحسِنا إلى فقيرهم، وبالغا في حفظ غيبهم، وعلِّما جاهلهم.

صلة أصدقاء الأب

ثم من علمتما من إخواني وأهل مودتي، فإنه يتعيَّن عليكما مراعاتهم وتعظيمهم وبرهم وإكرامهم ومواصلتهم، فقد رُوي عن عبد الله بن عمر أنه حدث عن النبي ﷺ أنه قال: **«إنَّ أبرَّ البرِّ أن يصلَ الرجلُ أهلَ وُدِّ أبيه»**[1].

إكرام الإخوان

ثم إخوانكما عاملاهم بالإخلاص والإكرام وقضاء الحقوق، والتجافي عن الذنوب، والكتمان للأسرار.

وإياكما أن تُحدِّثا أنفسكما أن تنتظرا مقارضة ممن أحسنتما إليه، وأنعمتما عليه؛ فإن انتظار المقارضة تمسح الصَّنيعة، وتعيدُ الأفعال الرفيعة وضيعة، وتقلبُ الشكر ذماً، والحمد مقتاً.

الصبر على أذى الناس

ولا يجب أن تعتقدا معاداة أحد، واعتمدا التحرُّز

---

(١) رواه مسلم (٢٥٥٢)، والترمذي (١٩٠٤).

من كل أحد، فمن قصدكما بمطالبة، أو تكرَّر عليكما بأذيَّة، فلا تقارضاه جهدكما، والتزما الصبر له ما استطعتما، فما التزم أحد الصبر والحلم إلا عزَّ ونُصر، ومن بُغي عليه لينصرنَّه الله. وقد استعملت هذا بفضل الله مراراً، فحمدت العاقبة، واغتبطت بالكف عن المقارضة.

التوكل على الله

ولا تستعظما من حوادث الأيام شيئاً، فكل أمر ينقرض حقير، وكلُّ كبير لا يدوم صغيرٌ، وكل أمر ينقضي قصير، وانتظرا الفرج، فإنَّ انتظار الفرج عبادة، وعلِّقا رجاءكما بربكما، وتوكَّلا عليه، فإن التوكل عليه سعادة.

الاستعانة بالدعاء

واستعينا بالدعاء، والجآ إليه في البأساء والضراء، فإن الدعاء سفينة لا تعطب، وحزبٌ لا يُغلب، وجند لا يَهرب.

وإياكما أن تستحيلا عن هذا المذهب، أو تعتقدا غيره، أو تتعلَّقا بسواه، فتهلكا وتخسرا الدين والدنيا، وربما دعوتُما في شيء، فنالكما مع الدُّعاء معرَّةٌ، أو وصلت إليكما مضرةٌ، فازدادا حرصاً على الدعاء، ورغبة

في الإخلاص، والتضرُّع والبكاء، فإن [ما] نالكما من المضرة بما سلف من ذنوبكما، واكتسبتماه من سيىء أعمالكما، ومع ذلك، فالذي ألهمكما إلى الدعاء ووفقكما، لا بد أن يُحسن العاقبة لكما، وقد نجَّاكما بدعائكما عن الكثير، وصرف به عنكما من البلاء الكبير.

شكر النعمة

وإذا أنعم عليكما ربكما بنعمة، فتلقَّياها بالإكرام لها، والشكر عليها، والمسامحة فيها، واجعلاها عوناً على طاعته، وسبباً إلى عبادته.

التحذير من إهانة النعم

والحذر الحذر من أن تهينا نعمة ربكما، فتترككما مذمومين، وتزول عنكما ممقوتين. رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**يا عائشة، أحسني جوارَ نِعَمِ الله تعالى. فإنها قلّ ما زالت عن قوم، فعادت إليهم**»[1].

وإياكما أن تطغيكما النعمة، فتقصِّرا عن شكرها، أو تنسيا حقَّها، أو تظنَّا أنكما نلتماها بسعيكما، أو وصلتما إليها باجتهادكما، فتعود نقمة مؤذية، وبلية عظيمة.

---

(١) حديث ضعيف. رواه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (٢)، والخرائطي في «الشكر» (٦٨)، وبنحوه ابن ماجه (٣٣٥٣).

طاعة ولي الأمر في المعروف

وعليكما بطاعة من ولّاه الله أمركما فيما لا معصية فيه لله تعالى، فإنَّ طاعته من أفضل ما تتمسكان به وتعتصمان به ممن عاداكما.

عدم الخروج على السلطان العادل

وإياكما والتعريض للخلاف لهم، والقيام عليهم، فإن هذا فيه العطب العاجل، والخزي الآجل، ولو ظفرتما في خلافكما، ونفذتما فيما حاولتما، لكان ذلك سبب هلاككما لما تكسبانه من المآثم، وتحدثان على الناس من الحوادث والعظائم.

ثم من سعيتما له، ووثقتما به لا يقدم شيئاً على إهلاككما، والراحة منكما، فإنه لا يأمن أن تُحدثا عليه ما أحدثتما له، وتنهضان بغيره كما نهضتما به.

لزوم الجماعة

فالتزما الطاعة وملازمة الجماعة، فإن السلطان الجائر الظالم أرفق بالناس من الفتنة وانطلاق الأيدي والألسنة.

الصبر على السلطان الجائر

فإن رابكما أمرٌ ممَّن وُلِّي عليكما، أو وصلت منه أذيَّة إليكما، فاصبرا وانقبضا وتحيَّلا لصرف ذلك عنكما بالاستنزال والاحتمال والإجمال، وإلا فاخرجا عن بلده إلى أن تصلح لكما جهتُه، وتعود إلى الإحسان إليكما نيَّته.

وإياكما وكثرة التظلم منه، والتعرض لذكره بقبيح يُؤثَر عنه، فإن ذلك لا يزيده إلا حنقاً وبُغضة فيكما، ورضاً بإضراره بكما.

ترك منافسة السلطان

وابدآ بعد سدِّ هذه الأبواب عنكما بترك منافسة من نافسكما، ومطالبة من طالبكما، فإنه قد يبدأ بهذه المعاني من يعتقد أنه لا يتوصل منها إلى محظور، ولا يتشبث منها بمكروه، ثم يُفضي الأمر إلى ما لا يريده، ولا يعتمده من مخالفة الرئيس الذي يقهر من ناوأه، ويغلب مَن غالبه وعاداه.

الاعتزال في الفتنة

وإن رأيتما أحداً قد خالف من ولي عليه، أو قام على من أُسند أمره إليه، فلا ترضيا فعله،

وانقبضا منه، وأغلقا على أنفسكما الأبواب، واقطعا بينكما وبينه الأسباب، حتى تنجلي الفتنة، وتنقضي المحنة.

الزهد في الدنيا

وإياكما والاستكثار من الدنيا وحطامها، وعليكما بالتوسط فيها، والكفاف الصالح الوافر منها، فإن الجمع لها، والاستكثار منها مع ما فيه من الشغل بها، والشغب بالنظر فيها، يصرف وجوه الحسد إلى صاحبها، والطمع إلى جامعها، والحنق على المنفرد بها.

كل ذي نعمة محسود

فالسلطان يتمنى أن يزل زلة يتسبَّب بها إلى أخذ ما عظُم في نفسه من ماله، والفاسقُ مرصدٌ لخيانته واغتياله، والصالحُ ذامٌّ له على استكثاره منه واحتفاله، يخاف عليه صديقه وحميمه، ويبغضه من أجله أخوه شقيقه، إن منعه لم يعدم لائماً، وإن بذله لم يجد راضياً.

آفات الدنيا

ومن رُزق منكما مالًا، فلا يجعل في الأصول إلا أقلَّهُ، فإنَّ شغبها طويل، وصاحبها ذليل، وهي ليست بمال على الحقيقة، إن تغلب على الجهة عدوّ حال بينه

وبينهما، وإن احتاج إلى الانتقال عنها تركها أو ترك أكثرها.

لا يصلك إلا ما قُدِّر لك

ومن احتاج منكما، فليُجمل في الطلب، فإنه لا يفوته ما قُدِّر له، ولا يُدرك ما لم يُقدر له، وقد ذكر الله تعالى ما وعظ به العبد الصالح ابنه في مثل هذا، فقال: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ١٦﴾ [لقمان: ١٦].

من أتى السلطان افتتن

واجتنبا صُحبة السلطان ما استطعتما، وتحرَّيا البُعدَ منه ما أمكنكما، فإن البعد منه أفضل من العزِّ بالقرب منه، فإن صاحب السلطان خائف لا يأمن، وخائن لا يُؤمن، ومُسيء إن أحسن يخاف منه ويخاف بسببه، ويتَّهمه الناس من أجله. إن قرَّبَ فَتَن، وإن أَبعد أحزن، يحسدك الصديق على رضاه إذا رضي، ويتبرأ منك ولدك ووالدك إذا سخط، ويكثر لائموك إذا مَنع، ويقلُّ شاكروك إذا شبع. فهذه حال السلامة معه، ولا سبيل إلى السلامة ممَّن يأتي بعده.

مصاحبة السلطان في المعروف

فإن امتُحن بصُحبته، أو دعته إلى ذلك ضرورة، فليتقلَّل من المال والحال، ولا يغتَبْ عنده أحداً، ولا يطالب عنده بشراً، ولا يعصي له في المعروف أمراً، ولا يستنزله إلى معصية الله تعالى، فإنَّه يطلبه بمثلها، ويصيرُ عنده من أهلها، وإن حظي عنده بمثلها في الظاهر، فإن نفسه تمقتُه في الباطن.

البعد عن طلب الجاه

ولا يرغب أحدكما في أن يكون أرفع الناس درجة، وأتمَّهم جاهاً، وأعلاهم منزلةً، فإن تلك حال لا يسلم صاحبها، ودرجة لا يثبت مَن احتلَّها.

خير الأمور الوسط

وأسلم الطبقات الطبقة المتوسطة: لا تُهتضم من دعة، ولا تُرمق من رِفعة، ومِن عيبِ الدرجة العليا أن صاحبها لا يرجو المزيد، ولكنه يخافُ النَّقص، والدرجة الوسطى يرجو الازدياد، وبينها وبين المخاوف حجاب.

فاجعلا بين أيديكما درجة يشتغل بها الحسود عنكما، ويرجوها الصديق لكما.

لا تطلب الإمارة

ولا يطلب أحدكما ولاية؛ فإنَّ طلبها شَيْن، وتركُها لمن دَعيَ إليها زَيْنٌ، فمن امتُحن بها منكما، فلتكن حالُه في نفسه أرفعَ مِن أن تحدث فيه بأواً[1]، أو يبدي بها زهواً، وليعلم أن الولاية لا تزيده رفعة، ولكنها فتنة ومحنةٌ، وأنه مُعَرَّضٌ لأحد أمرين: إما أن يعزل، فيعود إلى حالته، أو يُسيءَ استدامة ولايته، فيقبح ذكرُه، ويثقُل وزره، وإن استوت عنده ولايته وعزله، كان جديراً أن يستديم العمل فيبلغ الأمل، أو يعزل لإحسانه، فلا يَحُطُّ ذلك من مكانه.

الإقلال من المزاح

وأقِلَّا ممازحة الإخوان وملابستهم، والمتابعة في الاسترسال معهم، فإنَّ الأعداء أكثر ممَّن هذه صفته، وقلَّ مَن يعاديك ممن لا يعرفك ولا تعرفه.

فهذا الذي يجب أن تمتثلاه وتلتزماه، ولا تتركاه لعرض ولا لوجه طمع، فربما عرض وجه أمرٍ يروق، فيستزل عن الحقائق بغير تحقيق، وآخره يظهر من سوء العاقبة ما يوجب الندم حيث لا ينفع، ويتمنى له التلافي فلا يمكن.

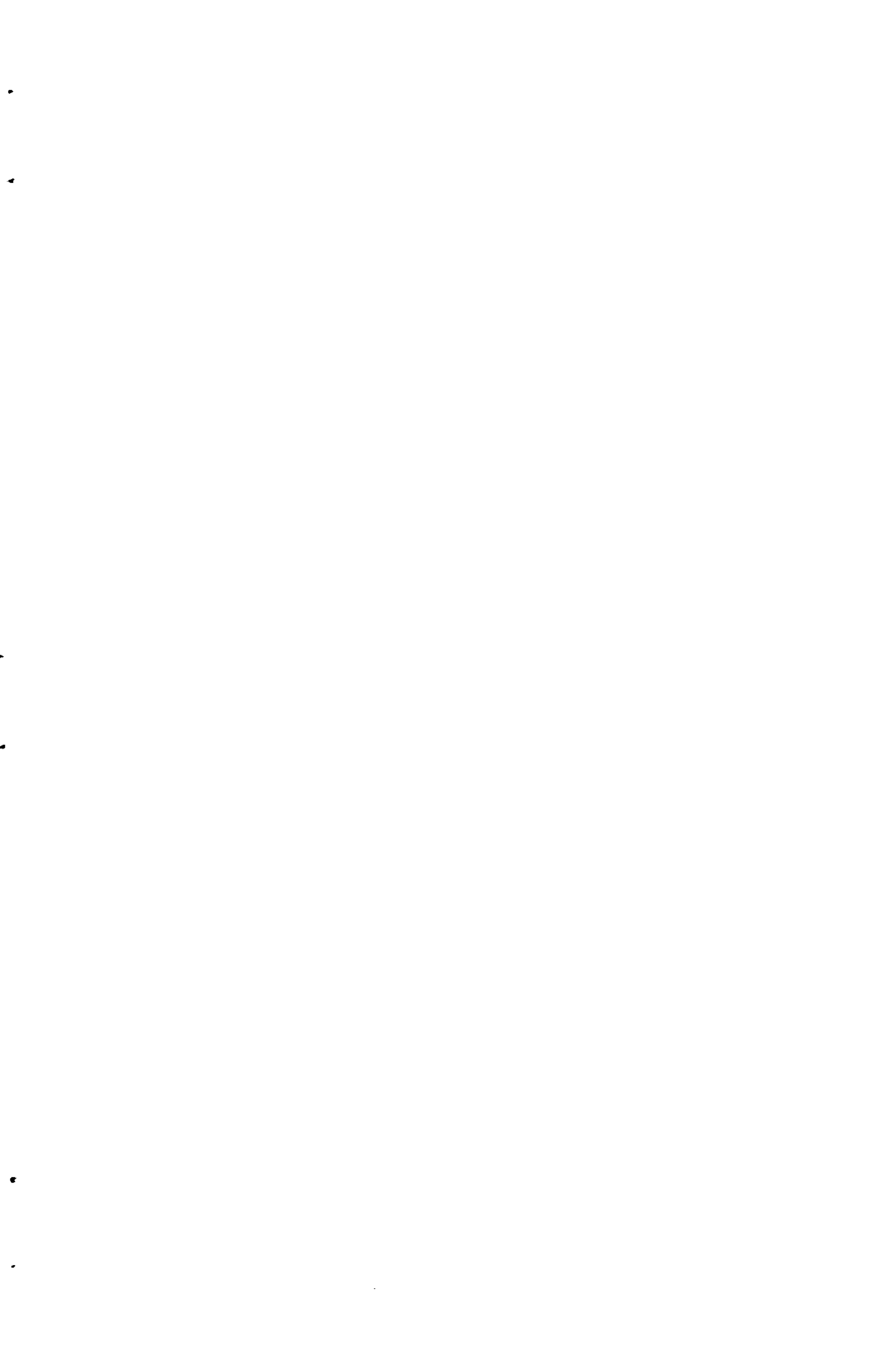
---

(١) البأو: الفخر.

فإن فقدتما وصيتي هذه، ونسيتما معناها، فعليكما بما ذكر الله تعالى في وصية لقمان لابنه، فإن فيها جماع الخير، وهي: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ١٨ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ١٩﴾ [لقمان: ١٧ ـ ١٩].

وإني لأوصيكما، وأعلم أني لن أغني عنكما مِنَ الله شيئاً. إن الحكمُ إلا لله عليه توكلتُ وعليه فليتوكل المتوكلون، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

كملت الوصية المباركة والحمد لله رب العالمين، وصلَّى الله على سيدنا ومولانا محمد خاتم النبيين، وآله الطيبين وصحابته المنتجبين وسلَّم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين، وذلك في يوم الخميس السابع لشهر ذي حجة مختتم عام تسعة وأربعين وسبعمائة.



خاتمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد..

فهذه وصية الإمام أبي الوليد الباجي لابنيه، نسأل الله أن ينفعنا وأبناءنا بها.

ولنا مع هذه الوصية وقفات:

- أنها كانت من أبي الوليد الباجي لولديه في حال الصغر، وقبل البلوغ، فهو يقول: «إنكما لما بلغتما الحد الذي قَرُبَ فيه تعيُّن الفروض عليكما، وتوجه التكليف إليكما...»، فالتربية ينبغي أن تكون في الصغر؛ حتى تكون أثبت في النفس، ويشتد عود الصبي عليها، لا بعد أن يكبر، فلا تجدي نفعاً.

ونحن نرى كثيراً من الآباء يشكون من سوء سيرة أبنائهم، وما ذلك إلا بسبب إهمال تربيتهم في الصغر.

ـ كما نلمس في هذه الوصية صِدْقَ النُّصح، فلا أنصح من الأب لابنه، ولا أحرص منه على ما يُصلحه وينفعه، فهو يقول لولديه: «واعلما أن لا أحدَ أنصح مني لكما، ولا أشفقَ مني عليكما، وأنه ليس في الأرض مَن تطيبُ نفسي أن يفضُلَ عليَّ غيركما...».

ـ كما نرى أن هذه الوصية جامعة مانعة، ما تركت خيراً إلا حثَّت عليه، ولا شراً إلا حذرت منه.

التربية بالقدوة:

وإن اهتمام أبي الوليد الباجي بولديه لم يقتصر على هذه الوصية، إذ من الممكن اعتبار هذه الوصية توجيهات نظرية مدعَّمة بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، ولكننا نراه يحاول معهم التربية بالقدوة، فيؤلف لهما كتاباً سماه: «سُنن الصالحين وسَنن العابدين»، فيه من الزهد والرقائق والوعظ، وسيرة الرسول ﷺ وصحابته الكرام، ومَن بعدهم من السلف الصالح، ويُضمِّنه الكثير من العظات والوصايا، يقول في أوله:

«يا بَنيَّ، وفَّقكما الله، فإنِّي لما رأيت الوعظ من أدوية القلوب وآداب النفوس، وتقدَّم من تواليفي في الحديث والفقه والأصول والجدل وغير ذلك ممَّا يتَّصل به من أبواب العلم، ما رجوتُ إن نظرتما فيه أن تستعينا

به على مرادي لكما، رأيت أن أجمعَ لكما كتاباً من هذا النَّوع، أسَلِّمه ـ بعون الله ـ من كثير ممَّا يقع فيه من أَلَّف في هذا الباب مِنَ الانحرافِ عن مذاهب أهل العلم، والغلوِّ الخارج عن سبيل أهل الحقِّ، يكون فيه تنبيهٌ على معان لا توجدُ في كتب الفقهاء، وتأديب بأخلاق من سَلَفَ من العلماء، وقدَّمتُ في أوله أدعية استفتحتها بأدعية القرآن، ثم وصلتُ بذلك فضائل تُنشط عند الفترة، ومواعظ تُستجلب بها إلى القلوب الرقة، وتداوي بها من القسوة. . .»[١].

أولاد أبي الوليد الباجي

أبو الحسن محمد:

ويكبر الولدان، وتؤتي تربية أبيهما ثمارها، فينشآن النشأة الصالحة، ولكن الفرحة لا تتم، إذ فُجِعَ الوالد بوفاة أحد ولديه، واسمه أبو الحسن محمد، وكان نبيلًا ذكياً مرجواً، فرثاه أبوه بمراثي شجية[٢]، من ذلك قوله

---

(١) «سنن الصالحين»: مخطوطة مكتبة لايدن بهولندا رقم ١٧٣٨. انظر فهرس المكتبة ٤/ ٦٣ ـ ٦٥. وقد شرعت في تحقيقه لما فيه من فوائد عظيمة، أسأل الله الإعانة على إتمامه.

(٢) «ترتيب المدارك» للقاضي عياض ٤/ ٨٠٨.

فيه[1]:

أمحمد إن كنتُ بعدك صابراً
صبر السليم لما به لا يسلمُ

ورزئت قبلك بالنبي محمدٍ
ولرزؤهُ أدهى لديَّ وأعظمُ

فلقد علمتُ أنني بك لاحقٌ
من بعد ظني أنني مُتقدِّم

لله ذكرٌ لا يزال بخاطري
متصرفٌ في صبره متحكمُ

فإذا نظرت فشخصُه متخيَّلٌ
وإذا أصختُ فصوته متوهَّمُ

وبكل أرضٍ لي من اجلك لوعة
وبكل قبر وقفةٌ وتلوُّمُ

فإذا دعوت سواك حاد عن اسمه
ودعاه باسمك مقول بك مُغرمُ

حُكْمُ الردى ومناهجٌ قذ سنَّها
لأولي النُّهى والحزن قبلُ مُتمَّمُ

---

(١) «قلائد العقيان» ص ٢١٦، و«الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة» القسم الثاني، المجلد الأول ص ١٠١ ـ ١٠٢.

فـلـئـنْ جـزعـتُ فـإنَّ ربـي عـاذرٌ
ولـئـن صـبـرتُ فـإنَّ صـبـري أكـرمُ

أبو القاسم أحمد:

مات أحد الولدين، وبقي الآخر، واسمه أبو القاسم أحمد، فنشأ نشأة صالحة، وأخذ العلم عن أبيه، وروى عنه كثيراً، وخلفه في حلقته، ونفعت وصية الوالد ونصيحته، فغدا الولد زاهداً علامة كبيراً ديناً ورعاً، يحفظ الخلاف والمناظرة، وكان فاضلًا نبيهاً جليلًا، من أفهم الناس وأعلمهم، له النظم والأدب، وله تواليف حسانٌ تدلُّ على حذقه ونُبله، ومنها: البرهان على أن أول الواجبات الإيمان، معيار النظر، سر النظر، العقيدة في المذاهب السديدة.

وتوفي ـ رحمه الله ـ بجدة بعد الحج سنة أربعمائة وثلاث وتسعين[1].

هذا عن الولدين، ولكن من هو صاحب الوصية؟

---

(١) مترجم في: الصلة لابن بشكوال ١/٧٣ ـ ٧٤، سير أعلام النبلاء ١٨/ ٥٤٥، بغية الملتمس ص ١٨٠ ـ ١٨١، الوافي بالوفيات ٦/ ٢٠٤، الديباج المذهب لابن فرحون ١/ ١٨٣.

ترجمة المؤلف(*)

اسمه ونسبه: هو أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب ابن وارث الباجي.

وأصل أجداده من بطليوس، ثم انتقلوا إلى مدينة باجة بالأندلس.

مولده: ولد سنة ٤٠٣هـ، كما ذكرت المصادر التي ترجمت له، وكذا كتبت أمه تاريخ مولده بخطها، كما في «تاريخ دمشق» لابن عساكر.

أسرته: يحدثنا المؤلف - أو يحدث ولديه - في

(*) مترجم في: ترتيب المدارك للقاضي عياض ٤/ ٨٠٢ - ٨٠٨، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام، القسم الثاني، المجلد الأول ص ٩٤ - ١٠٥، الديباج المذهب لابن فرحون ١/ ٣٧٧ - ٣٨٥، سير أعلام النبلاء ١٨/ ٥٣٥، نفح الطيب للمقري ٢/ ٦٧ - ٨٥.

وصيته عن أسرته، وأنها أسرة علم وصلاح، فيقول: «واعلما أننا أهل بيت لم يخلُ بفضل الله ما انتهى إلينا منه من صلاح وتديُّن وعفاف وتصاون...»، ثم يذكر أباه وأعمامه وإخوانه، وأنهم مشهورون بالعبادة والصلاح والتدين والورع والعفاف.

ونجد في بعض المصادر نتفاً من الحديث عن أسرته:

فأبوه: كان من تجار القيروان، وكان ذا جاه ومال، ولكنه ـ وكما قال ابنه في هذه الوصية ـ: «كان مع جاهه وحاله واتساع دنياه منقبضاً عنها، متقللًا منها، ثم أقبل على العبادة والاعتكاف إلى أن توفي».

وقد أخذ العلم في بداية حياته عن فقيه بالأندلس، يقال له أبو بكر بن شماخ، وكان مُعجباً به، ويتمنَّى أن يُرزق بولد مثل شيخه، فأشار عليه ابن شماخ أن يسكن قرطبة ويلزم أبا بكر القَبْري ويتزوج ابنته عساه يُرزق منها ولداً مثل شيخه، وعمل بوصية شيخه فكان له ما أراد[١].

أما أمُّه: فكانت فقيهة قارئة.

جدُّه لأمِّه: ولا غرابة أن تكون المرأة فقيهة، وهي

---

(١) تهذيب تاريخ دمشق ٦/ ٢٥١.

بنت فقيه عالم، وهو أبو بكر محمد بن موهب بن محمد القَبْري (ت سنة ٤٠٦هـ).

وخاله: هو الفقيه المحدث الأديب الخطيب الشاعر أبي شاكر عبد الواحد بن محمد (٣٧٧ ـ ٤٥٦هـ)، قال عنه ابن بشكوال في «الصلة» ٣٧٨/٢: كان حسن الهيئة والخلق، حسن السمت والهدي، وكان أشبه الناس بالسلف الصالح.

أما إخوته: فيذكر عنهم أنه لم يكن منهم إلا مشهور بالحج والجهاد والصلاح والعفاف.

ويقول عنهم القاضي عياض في «ترتيب المدارك» ٨٠٨/٤: وكان له إخوة فضلاء.

ويذكرهم ابن عساكر في تاريخه، فيقول: إن أحدهم كان صاحبَ الصلاة بسرقسطة، وآخر كان من أدَلِّ الناس ببلاد العدوِّ في الغزو، حتى إنه كان يعرف الأرض بالليل بشمِّ التراب[1].

علمه:

إذاً، فقد نشأ أبو الوليد في بيئة علم وصلاح، فأبوه عالم، وأمه فقيهة، وجده لأمه فقيه، وخاله فقيه

---

(١) بغية الملتمس ص ١١٩ ـ ١٢٠.

ومحدث، وإخوته صالحون مجاهدون، فلا غرابة أن يأخذ من علم هؤلاء جميعاً وصلاحهم، وأن يبرّز في مختلف العلوم، حيث برع في علم الحديث وعلله ورجاله، والفقه وغوامضه وخلافه، وفي الكلام ومضايقه[١].

شيوخه:

وقد أخذ هذا العلم عن أكابر شيوخ عصره في الأندلس وغيرها من البلاد التي رحل إليها، واستمرت رحلته فيها ثلاثة عشر عاماً، مثل الحجاز وبغداد والموصل ودمشق ومصر.

ومن مشايخه في هذه البلاد: يونس بن مغيث، ومكي بن أبي طالب، وأبو ذر الهروي، والحسن بن محمد بن جُميع، والقاضيان أبو الطيب الطبري، وأبو جعفر السمناني.

تلاميذه:

كما أخذ عنه العلمَ الكثيرُ من أعلام عصره من العلماء، منهم: ابنه أحمد، والخطيب البغدادي، وأبو

---

(١) تهذيب تاريخ دمشق ٦/ ٢٥١.

بكر الطرطوشي، وأبو عمر بن عبد البر، وأبو علي الصَّدفي، وأبو عبد الله الحميدي.

مؤلفاته:

ونلاحظ أن علم أبي الوليد لم يبق حبيس صدره، بل بثَّه في كتبه، فنجده ألَّف في مختلف العلوم والفنون، وبعضها ألَّف فيه أكثر من كتاب.

فألَّف في العقيدة: التسديد إلى معرفة طريق التوحيد، وفي الفقه: المقتبس من علم مالك بن أنس، وفي أصوله: إحكام الفصول في أحكام الأصول، وفي التفسير كتاباً لم يتمَّه، وفي الحديث: المنتقى في شرح الموطأ، وفي رجاله: التعديل والتجريح لمن خرّج عنه البخاري في الصحيح، وفي الزهد: السنن في الرقائق والزهد والمواعظ، وفي علم الكلام: السراج في علم الحِجاج، وفي الفرق: فرق الفقهاء. وغيرها من الكتب.

شعره:

وفوق ذلك كله، كان أبو الوليد شاعراً مجيداً، له النظم الرائق في المديح والوعظ والرقائق. يقول الفتح بن خاقان في «قلائد العقيان» ص ٢١٦: وكان له نظم يوقفه على ذاته، ولا يصرفه في رفث القول وبذاذاته، فمن

ذلك قوله في معنى الزهد:

إذا كنت أعلم علماً يقيناً
بأن جميع حياتي كساعة
فَلِمْ لا أكون ضنيناً بها
وأجعلها في صلاح وطاعة

قلت: ومن شعره في قيام الليل:

قد أفلح القانت في جُنح الدُّجى
يتلو الكتاب العربيَّ النَّيِّرا
فقائماً وراكعاً وساجداً
مُبتهلًا مستعبراً مُستغفرا
له حنينٌ وشهيقٌ وبكا
يبلُّ من أدمعه تُربَ الثَّرى
إنَّا لسَفْرٌ نبتغي نيلَ المدى
ففي السُّرى بُغيتنا لا في الكرى
من ينصب الليل ينل راحته
«عند الصباح يحمَدُ القوم السُّرى»

وله:

الحمد لله ذي الآلاء والنِّعمِ
ومُبدع السمع والأبصارِ والكَلِمِ

من يحمد الله يأتيه المزيدُ ومَن

يكفُر فكم نعمٍ آلت إلى نِقَمِ

وقد جمع ابنه أبو القاسم الباجي شعره في ديوان.

وفاته:

وبعد حياة حافلة بالعلم، توفي رحمه الله سنة أربع وسبعين وأربعمائة في المرية، وصلى عليه ابنه أبو القاسم.

هذا الكتاب

ورد ذكر هذه الوصية في الكثير من المصادر التي ترجمت لأبي الوليد الباجي، وممن ذكرها: ياقوت الحموي في «معجم الأدباء» ١١/١٤٩، وسماها: «النصيحة لولده»، وابن فرحون في «الديباج المذهب» ١/٣٨٥، وسماها: «النصيحة الولدية»، والداودي في «طبقات المفسرين» ١/ ٢٠٤ بعنوان: «النصيحة لولديه».

كما رواها ابن خير الإشبيلي في «فهرسته» ص٢٧٨، فقال: وصية القاضي أبي الوليد الباجي لابنيه: حدثني بها أبو الأصبغ [عيسى بن محمد] بن أبي البحر قراءة عليه، وأبو الحسن علي بن موهب إجازة، قالا: حدّثنا أبو الوليد الباجي رحمه الله.

وهي من مرويات أبي علي الصدفي، كما ورد

في «معجم أصحاب أبي علي الصدفي» لابن الأبار ص ٦٣ و٩١.

وقد اعتمدت في تحقيق هذه «الوصية» على نسخة محفوظة في مكتبة الأسكوريال بإسبانيا ضمن مجموع رقمه ٧٣٢، وهي الرسالة الرابعة في هذا المجموع، وتشمل الأوراق ٧٣ ـ ٨٦ منه، وفي كل ورقة ١٢ سطراً، وقد كتبت سنة ٧٤٩هـ بخط مغربي جميل واضح إلا في بعض كلمات أثَّرت عليها الرطوبة، وهي مصورة في قسم المخطوطات بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإِسلامية بالرياض.

وقد عملت على نسخ هذه الوصية، وتخريج ما فيها من آيات قرآنية وأحاديث نبوية، ويلاحظ أن المؤلف ـ رحمه الله ـ كان غالباً ما يورد الأحاديث بمعناها، دون الالتزام بالنص الذي رويت به، حتى لو كانت في الصحيحين.

كما وضعتُ عنواناً لكلٍّ فقرة من فقرات الوصية تلخِّص مُراد المؤلف.

وبعد، فهذا أبو الوليد الباجي، وهذه أسرته، وهذان ولداه، وهذه وصيتُه لهما، نفعهما الله بها.

وأنا أسأل الله سبحانه أن ينفعني وبَنِيَّ بها في حياتي

وبعد مماتي، وأوصيهم بما أوصى به أبو الوليد ابنيه، فهي وصية جامعة مانعة نافعة، إن التزمتم بها نجحتم وأفلحتم في الدنيا والآخرة، وإن اتخذتموها وراءكم ظهرياً - وما أظنُّكم فاعلين إن شاء الله - خبتم وخسرتم والعياذ بالله.

وأوصيهم بما أوصى به إبراهيم بنيه ويعقوب: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَـٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾.

وأوصيهم بما أوصى العبد الصالح لقمان ابنه وهو يعظه: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَـٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَـٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَـٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَـٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَـٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾ [لقمان: ١٣ - ١٩].

وأخيراً أدعو الله عز وجل. . .

ربنا هب لنا من أزواجنا وذُرِّياتنا قُرَّة أعين واجعلنا للمتقين إماماً.

رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء.

رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء.

ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب.

رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليَّ وعلى والدي وأن أعمل صالحاً ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين.

رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحاً ترضاه وأصلح لي في ذريتي إني تُبتُ إليك وإني من المسلمين.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

وكتب

أبو مالك إبراهيم باجس عبد المجيد

ربيع الآخر ١٤١٧هـ

الفهرس